إصدارات مخبر إسهامات علماء الجزائر في إثراء العلوم الإسلامية
كلية العلوم الإسلامية - جامعة الشهيد حمه لخضر - الوادي - الجزائر

فرقة البحث (P.R.F.U): تاريخ وادي سوف الثقافي بين 1900-1988م

بحوث الملتقى الدولي السابع
المقاومة الثقافية لأعلام الفكر الإصلاحي
في الجنوب الشرقي الجزائري ما بين 1900 – 1962م

بتاريخ: 05 و06 ذو القعدة 1443هـ / الموافق لـ 04 و05 جوان 2022

حمزة بكوشه
نشاطه التربوي والاصلاحي
(1994-1907)
Hamaza Bakoucha,
hiseducational and reformactivities
(1907-1994)

د/ محمد الطيب رزوق
المدرسة العليا للأساتذة مسعود زغار سطيف
medtayeb039@Gmail.com

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

ملخص: تتمحور هذه المداخلة عل إبراز شخصية تربوية إصلاحية من منطقة وادي سوف ممثلة في شخص حمزه بكوشه (شنوف) ونشاطه التربوي والإصلاحي بداية بالمولد والنشأة، دراسته الأولى، نشاطه بالجزائر، أدواره المتنوعة سواء كانت صحفية أو أدبية أو نضالية، في الأخير تعرضت لبعض من مؤلفاته. لأتوصل في ختام هذا البحث إلى استنتاج مفاده أن حمزة بوكوشه يعد علم من أعلام وادي سوف خاصة والجزائر عامة، تمكن من أن يرتمي في أحضان جمعية العلماء المسلمين الجزائريين منذ نشأتها ويكون من الفاعلين فيها.

الكلمات المفتاحية: حمزة بكوشة؛ النشاط الاصلاحي؛ النشاط التربوي؛ النشاط الأدبي؛ نضاله.

Abstract :
This intervention focuses on highlighting a reformist educational figure from the Oued Souf region represented in the person of Hamza Bakoucha (Chenouf) and his educational and reform activities beginning with birth and upbringing, his first study, his activity in Algeria, his various roles, whether journalistic, literary or militant, in the last I was exposed to some of his writings. At the end of this research, I came to the conclusion that Hamza Boukosha is one of the flags of Wadi Souf in particular and Algeria in general, who was able to fall into the arms of the Association of Algerian Muslim Scholars since its inception and be one of the actors in it.

Keywords: Hamza Bakoucha; reform activity; educational activity; literary activity; his struggle.

1.مقدمة

إن حمزة بوكوشه من القلائل الذين جاد بهم الزمان، في وقت كان العلم تجارة بائرة لا تجلب المنفعة المادية لصاحبها، وبذلك امتطى بكوشة ذروة شامخة في الحركة الإصلاحية بوّأته المكانة التي يستحقها، وجعلته رقما مهما يستحق الدراسة التاريخية، مثله مثل العديد من الدراسات التاريخية السالفة التي تناولت موضوع الحركة الإصلاحية في الجزائر، خاصة أشخاصها البارزين من أمثال الشيخ ابن باديس والشيخ الإبراهيمي والشيخ التبسي، وفق مجال محدد للدراسة وهو اهتمام هؤلاء بالدين واللغة، على هذا المنوال كانت دراستي لهذه الشخصية، حيث عنونت هذه المداخلة بـ:(حمزة بوكوشه نشاطه التربوي والإصلاحي) تناولت في هذا البحث: المولد والنشأة، دراسته الأولى، نشاطه بالجزائر، أدواره المتنوعة سواء كانت صحفية أو أدبية أو نضالية، ثم في الأخير تعرضت إلى بعض من مؤلفاته وأخيرا وفاته.

اعتمدت في هذا البحث على جملة من المراجع أهمها كتاب للدكتور عاشوري قمعون من جامعة الوادي تحت عنوان :(العلامة الموسوعي حمزة بوكوشه) وكذا كتابات لمحمد الصالح رمضان في مجلة الثقافة (الجزائر 1995) العددين105-106 تحت عنوان: (حمزة بوكوشه العالم المصلح) وكتابين لـ: محمد الصالح الجابري الأول بعنوان: (رحلات جزائرية) والثاني بعنوان: (النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس 1900-1962). ويمكن في الأخير أن أسجل بعض الصعوبات التي اعترتني أثناء القيام بهذا البحث منها قصر المدة وقلة المادة.

2. المولد والنشأة:

حمزة بوكوشه هو ابن البشير بن احمد بن بوكوشه بن شنوف بن علي. هذه العائلة من عرش الأعشاش. تزوج البشير ثلاث نساء أولهنّ (مبروكه رزاق زحاف) من عرش المصاعبة فأنجبت له (الهاشمي) حاصل على شهادة التطويع من الزيتونه. و(الأمين) وعند وفاة الزوجة الأولى تزوج (مباركه مجور) من عرش الأعشاش فأنجبت له أربع أولاد وبنت وتوفت قبله بأربع سنوات، ثم بنى بـ(مريم بنت عمار حشيه) من عرش الأعشاش فولدت له (حمزة وفاطمة)(حيث ولد (حمزة) خلال عام 1907م بحي أم سلمى بالوادي. لقد كان حصول أولاد البشير على جزء من التعليم بسبب غنى والدهم الذي كان يمارس التجارة، ولكن بظهور الأزمة الاقتصادية العالمية عام 1929 رجع البشير إلى الوادي وأضحى عاجزا حتى على تسديد مصاريف تعليم أبناءه في الكتّاب، فتخلّفوا عن الدراسة مما جعل شيخهم ومعلمهم الطالب (العزوزي بن العيد قديري)[1] يستفسر عن غيابهم، وعندما عرف السبب أمره بإعادتهم

1- مدرس قرآن بالجامع ولد عام 1895 توفي 1963/01/09 بالوادي.

لمواصلة الدراسة بدون مقابل. وقد سلك معظم إخوته طريق التجارة باستثناء (المكي) الذي توقف عنها بمجرد استقلال البلاد وتوجه لسلك التعليم.

1.1- **دراسته الأولى**:

كان أبوه مولعا بحب العلم وكان له ارتباط وعلاقة مودة بالعالم الجليل الشيخ (المكي ابن عزوز)[2] الذي كان يكاتبه من الأستانة وكان يرسل له مؤلفاته من هناك وهكذا باشر البشير التعليم الأول لحمزة في الكتاتيب وأدخله خاله زاوية (سيدي سالم) بالوادي وسنه خمس سنوات، فحفظ القرآن وعمره أربعة عشر سنة أي عام 1920، بعدها التحق للعيش مع أبيه في مدينة بسكرة، وهناك أتمّ دراسته بالزاوية القادرية حيث كان أصغر التلاميذ بها رفقة صديقه (محمد العيد آل خليفة)، واستمر في ذلك التعليم مدة عامين. وعند بلوغه سن السابعة عشر من عمره توجّه إلى قبلة العلم جامع الزيتونة، حيث التحق بأخوه (الهاشمي) الذي كان مقيما هناك. كما كان يمرّ كل عام على بلدة (المتلوي) القريبة من (قفصة)، ليستلم من أحد تجار منطقة وادي سوف الزكاة ليوزع جزءا منها على طلبة جامع الزيتونة. وقد أمضى فيه ست سنوات حتى نال منه شهادة التطويع عام 1930م، وهي آخر ما يُمنح للطالب وقتئذ، حيث تلقى العلوم على يد شيوخ فخام مثل: الشيخ حسن بن يوسف[3]. توجه حمزة بكوشه بعد ذلك إلى الحياة الأدبية والصحفية في القطر التونسي، وشرع يكتب المقالات الصحفية وينشر القصائد في المناسبات المختلفة وهذا في مجلة التي تسمى (الوزير) لمؤسسها (الطيب بن عيسى)[4].

2- **نشاطه التربوي والإصلاحي**:

عند رجوعه إلى وطنه، نظّم دروسا للطلبة في بسكرة والوادي مدة. وقد أصيب بخيبة أمل لما لاحظه من جمود وجهل بحقيقة الدين والبدع التي ما أنزل الله بها من سلطان، بعدها انتقل إلى الجزائر فاشتغل تاجر تمور، وصاحب بعض العلماء و الأدباء من أمثال (أحمد توفيق المدني)[5]، (عبد الرحمان الجيلالي) وزميله بالزاوية القادرية ببسكرة الشاعر

2- هو محمد المكي بن مصطفى بن محمد بن عزوز ولد 1854، وتعلم بزاوية والده حفظ القرآن عمره11سنة، توجه إلى الزيتونة 1878 حتى تحصل على شهادة التطويع، ولي خطة الإفتاء في نفطة، ثم مدرسا بجامع الزيتونة 1890 من بين المتخرجين عنه عبد العزيز الثعالبي.

3- درس بجامع الزيتونة، صار مدرسا حنفيا من الطبقة الثانية عام 1905، ثم ارتقى الى مرتبة الطبقة الأولى 1942 ويعد انتهاء ح ع 2 اختير مفتيا على المذهب الحنفي.

4- الطيب بن عيسى(1885-1966) من أصل جزائري (قرية قريبة من البليدة)، ولد تونس درس بالزيتونة انشأ (المشير 1911) (الوزير 1920).

5- من أصول جزائرية استوطن أهله تونس ولد عام 1899، درس بالزيتونة، انتمى للحركة الوطنية، أصبح عضو في الحزب الدستوري، نفي إلى الجزائر عام،1925 تولى عدة مناصب منها: وزير الثقافة في

(محمد العيد آل خليفة).

ولقد قام الشيخ بن باديس بدعوة الرجل لحضور المؤتمر التأسيسي لجمعية العلماء رفقة الوالد الذي تعذر عليه الحضور بسبب المرض. اكتفى الوالد بإرسال ابنه ممثلا له ولشخصه، وشارك الشيخ حمزة رفقة الشيخين (الأمين العمودي) و(عمار الأزعر) ممن حضر من وادي سوف، من ذلك الحين أضحى رئيس الجمعية يعول عليه كثيرا، وصار من أقرب مساعديه في التدريس، وبعد مدة عُيّن عضوا في اللجنة الممثلة للجمعية بوادي سوف. وبمرور الأيام صار الشيخ عضوا نشيطا عاملا في صفوف الجمعية؛ معلما في مدارسها وكاتبا صحفيا وناقدا أدبيا ومحللا سياسيا في أعمدة جرائدها، وعندما اشتكى الشيخ (محمد خير الدين)[6] من قلة الرجال لمساعدته همس له الشيخ عبد الحميد: "كيف تشكو قلة الرجال وبقربك أمثال حمزة بكوشه"[7]، كما دعي الشيخ للتدريس بالجامع الجديد، فقدّم فيه للحاضرين جميع متن الأربعين حديثا النووية[8]، وقد ذكر الشيخ حمزة أنّ الجمعية كلفته عام 1932م بإدارة مدرسة الإصلاح وتدريس اللغة العربية بـ(دلس) بلاد القبائل بولاية بومرداس حاليا، ولما باشر مهامه زاره عام 1935 الشيخ (الطيب العقبي) بهدف تدعيم العلاقات بين رجال الإصلاح وجمعية العلماء، فخاطبه الشيخ حمزة بالقصيدة التالية :

يا بلبل الشرق ما أشجاك أشجاني	قم ناج قـلبي بتغـريد وتحـنان
فإن مثـلي كئيب حـل في شـرك	وأنت مثـلي غريب بـين أوطـاني
لولا فـروض علينـا العلم يفرضها	ما كنت ألقـاك بل ما كنت تلقاني[9]

وقد تعرض الشيخ إلى المضايقات والمتابعة، بحجة أنه أجنبي عن المنطقة، وأنه يعلّم لغة أجنبية، كما أن الشيخ حمزة قد ارتبط بعلاقة مصاهرة مع إحدى العائلات القبائلية التي رغبت في تزويج ابنتهم (الضاوية زبيري)[10]. ثم عاد الشيخ إلى مدينة الجزائر، فاشتغل بتجارة التمور غير أنه لم يفلح. ويذكر الشيخ (محمد الحسن فضلاء) أن أحدهم دخل دكانه

الحكومة المؤقتة 1958 توفي عام1983

6- محمد بن خير الدين من مواليد 1902 ببسكرة، درس بها، ثم انتقل إلى قسنطينة أين واصل تعليمه، ليلتحق في سنة 1918 بجامع الزيتونة، حصل على شهادة التطويع سنة 1925، باشر التدريس بالمدارس الحرة، أسندت له مهام في جمعية العلماء توفي في 10-12-1993.

7- الزبير بن رحال: الإمام عبد الحميد بن باديس رائد النهضة العلمية.

8- محمد الحسن فضلاء: من أعلام الإصلاح ج2. مطبعة دار هومه بالجزائر 200 ص 62

9- جريد الوزير عدد 442 بتاريخ 1935/08/22 المكتبة الوطنية التونسية، يسلي مقران: الحركة الدينية والإصلاحية في منطقة القبائل(1920-1945)، دار الأمل للطباعة 2007 ص 204-205.

10- هي الزوجة الثانية بعد أن توفت الأولى ابنة عمه، مقابلة شفهية مع ابن أخت الشيخ حمزة المحامي الجيلاني شنوف بالوادي 2011/06/21 أجراها الدكتور عاشوري قمعون، أستاذ محاضر بمادة التاريخ جامعة الوادي.

وأخذ تمرة من كيس وأكلها فباغته الشيخ يقول: "يا آكل التمر إن التمر ممنوع"، وكان الشيخ محمد العيد جالسا ينظر فأكمل البيت: "إلا على رجل قد مسه الجوع"[11]. أُستدعي إلى البليدة فأقام فيها مدة يلقي الدروس والأحاديث في نادي التقدم، بمناسبة الاحتفال بتدشين النادي الذي أُسّس في البليدة في 24 نوفمبر1935، وألقيت في النادي خطب وكلمات، وافتتح الاحتفال الشيخ العقبي ثم ألقى الشيخ حمزة كلمة، وفي هذا اللقاء ألزمه الأستاذ العقبي على مسمع من الحاضرين وبطلب من جماعة النادي أن يكون محاضرا لهم مدة شهر رمضان لهذا العام[12].

ثم تحول الشيخ بعدها إلى مدينة تيزي وزو عام 1936 ليشرف على مدرسة الشبيبة التي أنشئت هناك، وعند وصوله التمس الرخصة من الإدارة الاستعمارية، غير أن السلطات منعته من القيام بتلك المهمة بعد إقامة طال أمدها متحججة بدعوى أنه عربي لاحق له العمل في بلد قبائلي[13]. خلال عامي 1936 و1937 عيّنه الشيخ عبد الحميد بن باديس معلّما بمدرسة التربية والتعليم بقسنطينة، وأستاذا مساعدا له في إحدى فروع الجامع الأخضر[14]، وهو مسجد سيدي بومعزة فكان جل وقته يعلّم التلاميذ الصغار في مدرسة التربية والتعليم ويعطي ساعة أو ساعتين لطلبة ابن باديس في مسجد سيدي بومعزة والمسافة بين المسجد والمدرسة قريبة جدا[15]. وقد مكث على هذه الحالة عاما واحدا تخرج على يديه كثير من الطلبة.

وفي عام 1937 أُوفد إلى مدينة ليون بفرنسا، بصفته واعظا ومرشدا للجالية الجزائرية هناك، وقام بإلقاء محاضرات ودروس توجيهية للعمال الجزائريين المهاجرين. يقول الشيخ حمزة: "انتخبت عضو مستشارا في مكتب جمعية العلماء، فأوفدتني الجمعية إلى فرنسا، كما أوفدت غيري من شبابها آنذاك؛ لمساعدة الشيخ الفضيل الورتلاني، فكنت ممن أُرسل إلى مدينة ليون، فمكثت بها سنة 1938م[16]. وقد التأم شمل نوادي التهذيب بفرنسا في شهر ديسمبر 1937م، وحضر ممثلو 35 فرعا، صادقوا في الاجتماع على برنامج جمعية العلماء، وتمّ تعيين الشيخ حمزة ممثلا للجمعية في مدينة ليون. وبعد عودته من فرنسا زار الشيخ

11- من أعلام الجزائر ج2 ص 63

12- الشهاب، م 11، ج9، رمضان 1345هـ /ديسمبر 1935م ص 521.

13- سمير سمراد: الشاعر الناقد حمزة بكوشه . جريدة الإصلاح، العدد التاسع (الجزائر :ماي وجوان 2008) ص 65

14- محمد الصالح الجابري: رحلات جزائرية دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان 2001، ص 7، ص139

15- محمد الصالح رمضان، حمزة بوكوشه العالم المصلح، الثقافة، العدد 105-106 (الجزائر :1995) ص101

16- سمير سمراد، مرجع سابق، ص 74

مسقط رأسه بالوادي ضمن وفد الجمعية، وبدأ في التبشير بالحركة التعليمية والتهذيبية التي عايشها في فرنسا، فانتقمت منه الإدارة الاستعمارية وأبعدته عن الوادي وبسكرة لأفكاره التقدمية والتحدث باسم جمعية العلماء، و يقول هو عن نفسه : وعندما رجعت إلى الجزائر كانت الحرب العالمية على الأبواب ولما أُعلنت الحرب أوقفت جمعية العلماء أعمالها، وعطلت جرائدها حيث أن الجرائد أصبحت لا تصدر إلا تحت الرقابة[17].

وفي سنة 1939 اجتمع الشيخ حمزة بشيخه ابن باديس بنادي الترقي بساحة الشهداء بالجزائر، وذلك بحضور تلميذه الشيخ محمد الصادق المليلي، وبعد مناقشات طويلة انتفض وقال: هل لكم أن تعاهدوني، فقال له محمد المليلي: لا أستطيع قبل أن أعرف، ثم توجه إلى الشيخ حمزة وقال: وأنت؟ فأجابه الشيخ حمزة: إذا كان على شيء أنت فيه معي، فإني أعاهدك، قال: طبعا! أنا لا أكلّف غيري بما لا أكلف به نفسي، فمدّ الشيخ حمزة يده وصافحه قائلا: إني أعاهدك ولكن على ماذا؟ قال: إنني سأعلن الثورة على فرنسا عندما تشهر عليها ايطاليا الحرب. ثم افترقنا، ولم يعد بعدها إلى الجزائر، وهكذا كانت نيته[18]. بعد وفاة الشيخ بن باديس 16 أفريل 1940 واصل الشيخ حمزة نشاطه الإصلاحي مع الجمعية في عهدها الجديد، فقد كان يرافق الرئيس البشير الإبراهيمي في جولاته وتنقلاته، وقد اعتمد عليه الشيخ البشير واستخلفه في غيبته. وقد قال الشيخ حمزة: "في سنة 1944 أسندت لي نيابة الكاتب العام للجمعية، وفي سنة 1948عينت في هيئة تحرير جريد البصائر"[19]، كما أُوفد من طرف الجمعية إلى مدينة غليزان لزيارة مدير مدرستها الشيخ محمد الصالح رمضان[20]، الذي أعلمه أن الشيخ البشير قد رشحه لإدارة مدرسة الحديث بتلمسان، ووافق المجلس الإداري بالإجماع على ترشيحه، وكان الشيخ حمزة يزوره في تلمسان في أواخر الأربعينات وبداية الخمسينات، وهو مندوب تجاري لشركة آمال في مهمات تلك الشركة[21].

17- المرجع نفسه، ص 74

18- مراسة السيد حسين شنوف (مفتش بالضرائب ومن مواليد1958 9بالوادي) بن المكي أخ الشيخ حمزة، عاشوري قمعون: الشيخان، مطبعة مزوار بالوادي ط1 ،2010 ص 38.

19- سمير سمراد، مرجع سابق، ص 74-75

20- ولد محمد الصالح رمضان في 1914/10/20 بالقنطرة جنوب بسكرة، حفظ القرآن ببلدته، خريج جامع الزيتونة، التحق 1934بدروس الإمام عبد الحميد بن باديس، عين مفتشا جهويا للتعليم العربي الحر بتلمسان، واصل جهاده التربوي عقب الاستقلال إلى أن أحيل على التقاعد 1979م توفي يوم 22-07-2008 .

21- محمد الصالح رمضان، مرجع سابق، ص 104-105

3. **ثقافته المتنوعة**:

يوصف الشيخ حمزة بالرجل الموسوعي لتضلعه في شتى نواحي العلوم والمعارف؛ فهو كاتب اجتماعي، وشاعر وجداني، وناقد بصير وفقيه إسلامي وحقوقي مدني. توزع معظم نشاطه في الصحافة والتعليم والتجارة، وأخيرا في القضاء والمحاماة. ترك بصماته في كل الميادين وخاصة الصحافة[22].

ولقد اشتهر بالنثر أكثر من الشعر، وبعض القراء وخاصة رواد المساجد عرفوه واعظا ومرشدا. وعرفه أصحاب المحاكم ورجال القانون في القضاء والمحاماة، كما عرفه رجال الأعمال تاجرا، والطلاب عرفوه أستاذا، مع العلم بأنه دأب على مواصلة الدراسة حتى في سن الشيخوخة، إذ التحق بجامعة الجزائر عام 1968م ونال منها شهادة الليسانس في الحقوق 1971م[23].

ولقد كانت له مواقف وأدوار في الجانب الثقافي؛ فحينما نتكلم مثلا عن اللغة نجد أن اللغة العربية قد أهملت في هذه الفترة، ولم يكن يُتصور أن يكون التعليم مستقبلا باللغة العربية، في هذه الأثناء كان للشيخ حمزة موقف أشار إليه في قوله :"وقد كنا نفر من قراءة الفرنسية فرار السليم من الأجرب، لأننا لُقِنّا أن قراءة الفرنسية طريق إلى الكفر، إن لم تكن هي الكفر عينه. وقد يبدو أن هذا جمود وركود ولكنه فيما أرى لا يخلو من صواب. هو أن قراءة الفرنسية في تلك الآونة من الشبهات ومن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه. فلو أننا فيما مضى أقبلنا على الفرنسية لزاحمنا العربية أو أهملناها، وتفتح لنا الفرنسية نوافذ على الشهوات والملذات، وهي لغة الغالب ، والمغلوب مولع بتقليد الغالب [24].

4. **نشاطه الصحفي**:

كان الشيخ حمزة صديقا حميما لمحمد بورقيبة محرر الركن الأدبي في جريدة الوزير التونسية، مما جعله ينشر فيها أغلب إنتاجه النثري والشعري، ففي عام 1932 نشر قصيدة رثاء لشيخه وصديق والده الشيخ (إبراهيم بن عامر)، كما رثى والده المتوفى عام 1933م، وقد اتفق على أن الرجل كان صحفيا بامتياز حيث كتب مقالات أدبية ونقدية هامة، ومواضيع سياسية جريئة، إذ كتب في جريدة الثبات (1934-1935) مقالا تحت عنوان المرأة والإصلاح العدد الثامن بتاريخ 16-03-1934، وكتب في جريدة (البصائر) لسان حال الجمعية فيما بين 1935-1939، كتب في فصول الأدب وقضاياه، وفي سنة 1936 ساهم

22- المرجع نفسه، ص 100

23- مراسلة السيد حسين شنوف ابن أخ الشيخ حمزة.

24- مراسلة الشيخ حمزة بكوشه للأستاذ الدكتور علي غنابزية في جانفي عام 1994.

رفقة الشيخ علي بن ساعد[25] في إنشاء جريدة (الليالي) وكان من أبرز محرّريها، طلب منه الشيخ بن باديس في جوان 1937 أن يشرف في وهران على تحرير (جريدة المغرب العربي) [26]، فلم يصدر منها إلا أربعة أعداد ثم صودرت، وقد قال عنها الأستاذ أحمد رضا حوحو: فعاشت بعض الوقت، ثم ماتت جوعا وهي في عهد الرضاعة، وفي عام 1947 عين الشيخ حمزة في هيئة تحرير جريدة البصائر مع الأستاذ أحمد توفيق المدني وباعزيز بن عمر والشيخ أحمد سحنون وكان يواصل الكتابة في هذه الصحف وغيرها.

اتصف الشيخ حمزة بالجرأة في كتابة مقالاته التي ينشرها في الصحف، ولا أدل من ذلك على ما كتبه في مقال بجريدة البصائر تحت عنوان (على من نعوّل في توحيد المسلمين؟)، وهذا من أجل مواجهة بعض زملائه الأعضاء في الجمعية، الذين ما فتئوا يتسترون بأسماء مستعارة عند كتابة مقالاتهم مثل: (الفتى الزواوي) و(الفتى القبائلي) و(الصنهاجي) الذي كان يستعمله الشيخ بن باديس نفسه، وهذا ما أثار ضجر الشيخ حمزة حيث كتب يقول: كنت أطالع تلك الصحف التي هي لسان الجمعية فيلوح لي فيها ما يستوجب لاذع الانتقاد كإمضاء (الفتى القبائلي) و(الفتى الزواوي)، تلك الإمضاءات التي تبعث كامن العنصريات، وتذكي نار الفرقة التي أخمدها الإسلام.

كما ساهم في إنشاء صحيفة "الجحيم"[27] هذه الصحيفة لم تكن بأمر من قيادة الجمعية، بل كانت مبادرة من (الأمين العمودي) و(السعيد الزاهري) و(حمزة بوكوشه)، ونشير إلى أنها توقفت بعد صدور عددها السابع بتاريخ 11ماي 1933 حيث حققت الغاية من صدورها، وهي إسكات صحيفة (المعيار) .

ولم يتوقف عن كتابة المقالات حتى بعد الاستقلال حيث كتب مقالات تاريخية وسجّل مواقف تتطلبها الحياة الثقافية في (جريدة الشعب) و(مجلة الثقافة)، إذ عرّف ببعض رجالات الحركة الإسلامية، وألقى عدة محاضرات في ملتقيات ثقافية. كما كان جريئا في قول الحق، ولو كان المخطئ من أقرب الناس إليه ولذلك نجده يردّ بكل قوة على ما جاء في كتاب (حياة كفاح) لصاحبه أحمد توفيق المدني، إذ نشر مقالا في جريدة (الشعب الوطنية)، يقول فيه: ولو أن هذه المذكرات كانت خاصة بحياته الشخصية وذكر مناقبه ومآثره، ولم يمس أحدا بسوء لا من قريب ولا من بعيد لتركناه وشأنه، لكنه عرض بأناس وجرح في آخرين.

25- ولد بقمار خلال 1908، متحصل على شهادة التطويع من الزيتونة 1933، عمل مدرسا في مدارس جمعية العلماء، توفي إثر نوبة قلبية وهو يدرس 1974.

26- جريدة أدبية سياسية اجتماعية. لسان حال الشبان المسلمين مديرها محمود بلة ورئيس تحريرها الشيخ حمزة بكوشه.

27- جريدة فكاهية تصدر عن بعض أعضاء الجمعية، جاءت ردا على المعيار، تطبع بالجزائر وتصدر أسبوعيا، عددها الأول مارس 1932

وربما في بعض الأحيان رام نفعا فضرّ من غير قصد أو عن قصد، محاولا أن تكون مذكراته سجلا تاريخيا، وأن يكون كشاهد أمام التاريخ. لهذا نرى لزاما علينا أن نتبع بعض ما في هذه المذكرات بتوضيحات وتعليقات خدمة للحقيقة وتذكيرا للأستاذ إن نفعت الذكرى، والذكرى تنفع المؤمنين ولنقتصر في هذه النظرة الأولى على مناقشته في مسألتين: جمعية العلماء والشيخ الطيب العقبي"[28].

5. نشاطه في المجال الأدبي:

إن حرفة الأدب لدى الشيخ حمزة صناعة اشتغل بها طوال حياته، فهو أديب ذاع صيته في الوسط الأدبي الجزائري والتونسي. كان كاتبا صحفيا، يكتب المقالات الأدبية والاجتماعية والسياسية والتاريخية، فقد كتب في جريدة البصائر مقالات تحت عناوين: الأخلاق، قيمة المرأة في المجتمع[29]، وقد تفوق في ميدان النثر حيث كان ناقدا وكاتب مقالات أدبية وسياسية بشكل جريء، كما كان له باعٌ في أدب الرحلات مثل: رحلته إلى المغرب تحت عنوان (أربعون يوما في المغرب الأقصى) ورحلته إلى سوف تحت عنوان (جولة من التلال إلى الرمال)[30]، وممّا يتصف به الشيخ أنه ناقد بصير. وقد رأى فيه الأديب أحمد رضا حوحو[31] في الشعلة[32] أديبا مغالبا. إذ قال فيه: "حمزة بوكوشه أديب ساخر وناقد ماكر، جريء في أدبه، جريء في آرائه، تحتل نفسه ثورة متزنة، أثقلت جوانبها الحكمة والعقل، قليل الكلام، كثير التفكير، منخفض الصوت، مقلُّ الإنتاج ولكنه مجيد ... ويقول عنه ساخرا: أصيب صديقنا حمزة في أيامه الأخيرة بنزعة التشكيك، فأكثر من التساؤل: هل عندنا أدباء؟ هل عندنا زعماء؟ هل عندنا شعراء؟ حتى تركنا نتساءل: هل عندنا حمزة بوكوشة ؟ ثم طبق عليه هذا المذهب وهو تارة حمزة بوكوشة، وأخرى بكوشة. وقد تمثلت جرأته وثورته في مواقف متعددة تدل على سخريته منها: أنه كان –أحيانا-يوقع على بعض مقالاته النقدية، ولاسيما ما كان جدالا بينه وبين بعض أعداء الإصلاح ومناوئي الجمعية، بإرداف العبارة التالية بعد اسمه الصريح: (صاحب مستودع التمر)[33].

28- جريدة الشعب الوطنية في 30صفر 1398 هـ /08-02-197م ص، 8؛ محمد الطاهر فضلاء : التحريف والتزييف في كتاب حياة كفاح، ط1 1402هـ/1982، دار البعث للطباعة والنشر قسنطينة

29- جريدة البصائر، السنة الأولى، العدد 3-8

30- حمزة بوكوشة : جولة من التلال إلى الرمال في جريدة الوزير التونسية عام 1932 م

31- من مواليد 1910/12/15 ببلدة سيدي عقبة، وعند بلوغه 6 سنوات دخل الابتدائية ونال منها الشهادة الابتدائية 1928، حصل على الأهلية في عام 1930سافر مع عائلته إلى الحجاز، ودخل مدرسة العلوم الشرعية بالمدينة، في عام 1945 رجع إلى بلاده وانضم إلى جمعية العلماء أسّس أسبوعية الشعلة عام 1946، اغتيل يوم 29-03-1956

32- جريدة أسبوعية لسان الجمعية رئيس تحريرها رضا حوحو صدر عددها الأول 15 ديسمبر 1949

33- سمير سمراد: مرجع سابق، ص 75 .

فكما عرفنا الشيخ حمزة ناثرا جريئا فقد كتب في الشعر، وقد جمع شعره في ديوان مخطوط بيده في كراسه، سماه (خواطر الشباب والمشيب)، والبعض منه مضروب على أوراق موجودة داخل تلك الكراسة جمع فيه ما تيسر له من شعره الموزع بين صحف تونس والجزائر. وقد طلب من صديقه (محمد الصالح رمضان) أن يقدمه للطباعة قائلا له: "طالما حرضتني على جمع شعري وطبعه في ديوان، وتثاقلت لأنه غير ممكن لي العثور على كل الصحف التونسية والجزائرية التي نشرت فيها. وكنت تقول لي: اجمع ما تيسر لك منه وأطبعه ولو لم يكن كل شعرك. فإليك الآن ما جمعت منه، فأجل فيه نظرك وقل لي: إن كان يصلح أن يقدّم للنشر، فتسلمت المخطوط شاكرا مبتهجا وبعد الاطلاع عليه وضعت له مقدمة أو تقديم، وشجعته على الطبع فقال: أنت أدرى بالطابعين والناشرين اليوم، فتول أنت القيام بالمهمة مع الطابعين. وبعد محاولات مع بعضهم، وهم تجار لا يهمهم سوى الربح فهم يقرؤون لي ألف حساب وحساب لا النظر في القيمة الأدبية أو العلمية للكتاب، قالوا لي إن سوق الشعر غير نافعة ولا يمكن طبعه إلا على حسابكم وعلى مسؤولياتكم، يعني أنهم لا يتولون نشره وتوزيعه[34]. لقد كان للرجل بصماته في هذا الميدان، فلا تمر مناسبة أو ذكرى دون أن يتحرك الشاعر وهكذا استهل شعر بالتناجي بمسقط رأسه : وادي سوف عام 1932

سقاك الغيث يا وادي الرمال	وصانتك الأسنة والعوالي
ولازالت بك الحصباء درا	حصاها فائق حسن اللآلي
تذكرني مرائي البحر ليلا	بنور البدر من فوق الرمال
فتبعث في الفؤاد هوى دفينا	فيلهي النفس عن مرأى الجمال
وكثبان تناجي السحب دوما	تغار لطولها شم الجبال

6. **دوره نضاله**:

دأب الشيخ على النضال في إطار الحركة الإصلاحية والوطنية، ويتجلى عمله النضالي في تعرضه للاستنطاق والمتابعة والاعتقال بمنطقة دلس، عندما كان موفدا من طرف إدارة جمعية العلماء لتدريس اللغة العربية هناك، كما توبع في الحوادث التي جرت في سوف 1937 وقد تعرض للسجن خلال حوادث 1945، واعتقل كذلك مع رفاقه إبان ثورة التحرير المجيدة، حيث صرح قائلا: وفي سنة 1956 باشرت التدريس بفرع معهد عبد الحميد بن باديس بحي سيدي امحمد (بلكور) تحت إدارة الشيخ العربي التبسي، ومن هناك اعتقلتني السلطة الاستعمارية، فقضيت قرابة العامين بين معتقل وادي سار (بول قزال) ومعتقل الضاية (بوسوي)[35].

34- مراسلات السيد حسين شنوف ابن الشيخ حمزة، محمد الصالح رمضان: مرجع سابق، ص 106-107

35- سمير سمراد، مرجع سابق، ص 75

وعندما حصلت البلاد على الاستقلال، انبرى الشيخ يعمل مع وزارة الأوقاف منذ ظهورها في أكتوبر 1962م، وقد قيل إنه أول شيخ عالم قام بإلقاء الدروس الدينية[36] وحينما أُدمج المعلمون الأحرار في الإطار العام للتعليم والوظيف العمومي، وأُعترِف لهم بالأقدمية وجميع الحقوق المدنية، سلك الشيخ طريق التعليم كأستاذ اللغة العربية في ثانوية (عمر راسم)، ثم في ثانوية عقبه بباد الواد بالجزائر العاصمة. ولم يمنعه كبر سنه من مواصلة الدراسة بجامعة الجزائر حيث التحق بكلية الحقوق عام 1968م، حتى حصل على الليسانس فيها عام 1971 م ،كما أنّه عمل لوزارة العدل كزيتوني خبير في الفقه الإسلامي وما تعلق به، ثم انتدب كمستشار في المجلس الأعلى للقضاء وعُيّن عضوا في المجلس الإسلامي الأعلى في بداية تأسيسه، وشارك في مهامه[37].

وبعد أن أمضى الشيخ عمرا طويلا دام حوالي 87 عاما، انتقل إلى جوار ربه يوم الجمعة 14جمادى الثانية عام 1415 هـ / 18 نوفمبر 1994 م، وذلك عقب مرض لازمه. وشيعت جنازته إلى مثواه الأخير، حيث دفن في مقبرة القطار بباب الوادي بالعاصمة، زوال اليوم الموالي. وصلّى عليه رفيق دربه وصديقه الشيخ علي المغربي. وتكلّم عنه كذلك الأستاذان أحمد حماني، رئيس المجلس الإسلامي الأعلى، والكاتب المسرحي محمد الطاهر فضلاء[38].

7. خاتمة

نصل في ختام هذه المداخلة إلى استنتاج مفاده، أن حمزة بكوشه يعد علم من أعلام وادي سوف خاصة والجزائر عامة، استطاع نتيجة عبقريته أن يتجاوز ما كانت تقاسيه المنطقة من جهل واعتقادات فاسدة، مكّنه هذا التجاوز من أن يرتمي في أحضان جمعية العلماء المسلمين الجزائريين منذ نشأتها ويكون من الفاعلين فيها، بهذا الانتماء وما كان يمتاز به من الاطلاع الواسع والنظرة الثاقبة جعله الرجل الموسوعي المتعدد الاختصاصات فهو أديب وشاعر وصحفي وأستاذ ومؤرخ ورجل قضاء ومحامي وفقيه. هذه الشخصية بهذه المواصفات لم يعطَ لها حقّها بحيث أنها أُقبرت في عقر دارها. حريّ بنا نحن الباحثين أن ننقّب عن مثل هذه المعادن ونستفيد مما خلفته، لرسم مستقبل واضح وجلّي لهذه الأجيال اللاحقة رحم الله الشيخ حمزة وأسكنه فسيح جنانه.

36- عاشوري قمعون، حمزة بوكوشة 1907-1994 ، مطبعة سخري- الوادي، 2012، ص 118.

37- محمد الصالح رمضان، مرجع سابق، ص 107

38- نفسه، ص 100.

8. قائمة المراجع

*** المؤلفات:**

- بن رحال الزبير، الإمام عبد الحميد بن باديس رائد النهضة العلمية
- فضلاء محمد الحسن، من أعلام الإصلاح، مطبعة دار هومه، الجزائر، 2004.
- فضلاء محمد الطاهر، التحريف والتزييف في كتاب حياة كفاح، دار البعث للطباعة والنشر قسنطينة، ط1 ،1982
- الجابري محمد الصالح، رحلات جزائرية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2001.
- قمعون عاشوري، الشيخان، مطبعة مزوار، الوادي، ط1، 2010 .
- قمعون عاشوري، حمزة بوكوشة 1907-1994، مطبعة سخري، الوادي، الجزائر، 2012.
- مقران يسلي، الحركة الدينية والإصلاحية في منطقة القبائل(1920-1945)، دار الأمل للطباعة، 2007 .

*** المقالات:**

- جريدة الوزير التونسية، عدد 442بتاريخ 1935/08/22.
- الشهاب، م 11، ج9، رمضان 1345هـ /ديسمبر 1935م.
- سمير سمراد، الشاعر الناقد حمزة بكوشه، جريدة الإصلاح، العدد التاسع، (الجزائر: ماي وجوان 2008).
- محمد الصالح رمضان، حمزة بوكوشه العالم المصلح ، مجلة الثقافة، العدد 105-106 (الجزائر: 1995).
- جريدة الشعب الوطنية، في 30صفر 1398 هـ /08-02-1978 م.
- جريدة البصائر، السنة الأولى، العدد 3-8.